# حرية الاعتقاد والجدل الديني

## مع أهل الكتاب في ضوء مفهوم الوسطية في الإسلام

أعده:
الدكتور حسن بن أحمد الغزالي

### المقدمة

التحاور بين أهل الأديان ظاهرة قديمة، وقد ازداد في العصر الحاضر، ولتطور وسائل الاتصال أثر كبير في تسهيل تواصل الشعوب في كافة المجالات، ومما كان له دور فعال في انتقال العلوم والثقافات وانتشارها، وفي تأثر الناس بعضهم ببعض في العادات والأفكار والآداب، وقد انعكس ذلك كله على المفاهيم المتعلقة بالأديان، فاختلاف أديان الناس مع اتصال بعضهم ببعض جعلهم يتحاورون في ما يتعلق بالأديان.

# المبحث الأول:
# المقارنة بين المفاهيم المتشابهة

(التعايش السلمي بين أهل الأديان، الحوار بين أهل الأديان، الجدل، وحدة الأديان والتقريب بين الأديان).

## «التعايش بين أهل الأديان»

المراد به تنظيم أمور المعاش بين أتباع الأديان، فهو يهدف إلى تنظيم وتحسين مستوى العلاقة بين الشعوب والتخفيف من حدة النزاعات والتعاون في تحقيق المصالح المشتركة.

ويعنى بالقضايا المجتمعية كالإنماء، والاقتصاد، والسلام، والتجارة العالمية، ونحو ذلك. وهو بهذا المعنى لا يتعلق بالدين من حيث هو دين ولكن بالعلاقة المعيشية البحتة بين معتنقي الأديان(١).

**«والتعايش بين أهل الأديان»** أمر يقره ديننا، بل ويدعوا إليه لأنه ضرب من ضروب التعارف بين البشر، والتعاون على الخير. ولا يكون كذلك إلا إذا كان متوافقاً مع أحكام ديننا وأصوله.

ومن أعظم الأمثلة على ذلك: وثيقة التعايش التي عقدها النبي ﷺ مع أهل المدينة وفيهم المشركون واليهود إضافة إلى المسلمين، وقد تضمنت قواعد التعامل بين هذه الفئات الثلاث، ووجوب التعاون بين الجميع على الدفاع عن المدينة(٢).

---

(١) دعوة التقريب بين الأديان، د. أحمد القاضي (٣٤٨/١)، دار ابن الجوزي.

(٢) قواعد التعامل مع غير المسلمين، سالم البهنساوي، ص٨، ٩، ط، دار الوفاء.

«**الحوار بين أهل الأديان**»: قال الراغب في مفردات القرآن والمحاورة، والحوار: المرادّة في الكلام ومنه التحاور قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾»[١].

وجاء في مختار الصحاح: «وتحاوروا أي: تراجعوا بينهم وتجادلوا»[٢].

والحوار بين الأديان، أو «حوار الأديان» له معنى نظري هو: تبادلٌ للأفكار والمعتقدات بين أطراف مختلفة في المعتقد لإثبات صحة أو بطلان مفاهيم دينية[٣].

إلا أن هذا المعنى النظري قد يتحول أثناء التطبيق إلى معنى مخالف تماماً فقد يتحول الحوار من محاولة إقناع إلى فرض للرأي عن طريق الضغط أو الإرهاب الفكري فيتحول من حوار إلى إملاء للرأي.

والحوار مع أهل الكتاب مشروع في ديننا وفرض ديني لتقديم المفاهيم الصحيحة للإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله وإزالة الشبهات، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾.

والجدل يأتي بمعنى الحوار وهو على قسمين:

أ ـ محمود: وهو ما يراد به إظهار الحق.

ب ـ مذموم: وهو ما يراد به رد الحق، أو المغالبة[٤].

---

(١) مفردات القرآن ١٣٥، والآية في سورة قد سمع.
(٢) مختار الصحاح للرازي ص٩٨، ط، دار الحديث القاهرة.
(٣) مأخوذ من استقراء وقائع الحوار القائمة بين إتباع الأديان، وانظر دعوة التقريب بين الأديان د. أحمد القاضي ٣٣٥٨، والآخر د. فهد الهرفي ص١٠.
(٤) الحوار بين أهل الأديان.

«وحدة الأديان، وهو مصطلح له علاقة وثيقة بمصطلح آخر وهو: «التقريب بين الأديان».

وتتدرج حقيقة التقريب بين الأديان في العصر الحديث عبر ثلاث مستويات:

أ ـ التقريب دون التوفيق أو التلفيق، بأن يبقى لكل دين خصائصه العقدية والتعبدية المميزة، لكن مع اعتقاد إيمان الآخرين، واحترام عقائدهم وشعائرهم.

ب ـ وحدة الأديان: باعتقاد صواب جميع صور التدين، وانتمائها إلى حقيقة واحدة، وإن تنوعت مظاهر العبادة. فهذه المرتبة تستلزم المرتبة السابقة وتزيد عليها الدعوة إلى التخفيف من الخصائص العقدية والتشريعية، في سبيل الانضواء تحت وحدة صغرى كالإبراهيمية، أو كبرى كالإنسانية.

ج ـ توحيد الأديان: يجعل الدين واحداً بالسعي لاجتذاب الآخرين نحو عقيدة معينة لأحد الأديان، كمحاولات جماعة «كريسلام»، الرامية إلى التوحد حول «تأليه المسيح».

ولا ريب أن الصورة الوحيدة الصحيحة لتوحيد الأديان، أن يتحد أتباع جميع الأديان والملل والنحل على الدين الحق الذي بعث الله به محمداً ﷺ، دين الإسلام، الذي لا يقبل الله ديناً سواه.

ولا ريب أن الدين الحق هو الإسلام لا سواه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

وجاء في حكم الدعوة إلى وحدة الأديان فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية ومما جاء فيها:

أن الدعوة إلى (وحدة الأديان)، إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة

صريحة عن دين الإسلام، لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله ﷻ، وتبطل صدق القرآن، ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام، لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناءً على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام، من قرآن وسنة وإجماع[1].



(١) انظر في ما سبق دعوة التقريب بين الأديان، د. أحمد القاضي (١٦٦١/٤، ١٦٣٢).

## المبحث الثاني:

### المطلب الأول:

### حكم دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام

يجب تبليغ دعوة الإسلام إلى أهل الكتاب لأن الإسلام هو دين الله الذي ارتضاه للعالمين أجمعين، ومحمد ﷺ هو رسول الله إلى الثقلين أجمعين ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧].

والمقصود من دعوتهم الأخذ بأيديهم إلى الحق وإنقاذهم من النار، وليس المقصود إخضاعهم لثقافة المسلمين، أو توسيع رقعة نفوذ المسلمين فإنهم إن أسلموا فهم إخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا فلا مجال للاستعلاء عليهم.

والدعوة إلى التوحيد هو إرجاع لهم إلى أصل دينهم الذي جاءت به رسلهم، ونطقت به كتبهم قبل التحريف، فهو دعوة فيها انتصار لدينهم الصحيح، وعمل به.

### المطلب الثاني:

### من شروط الدعوة إلى التوحيد ضمان حرية المعتقد

أصل الإسلام وجوهره هو التوحيد، ومنه تنبثق باقي الأصول والتشريعات. وأهل الكتاب دخل عليهم الشرك في ادعاءهم الشريك لله تعالى، فالمقصود الأول من دعوتهم هو دعوتهم إلى التوحيد.

ولا مجال للإكراه على الدين في الإسلام.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ

بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقد نزلت هذه الآية في شأن رجال من الأنصار كان لهم أبناء يدينون باليهودية أو النصرانية، فلما جاءهم الإسلام حاولوا إجبارهم على اعتناق الدين الجديد فنزلت الآية لتمنعهم من ذلك[1].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً»[2].

فالإسلام يعلنها صراحة لأتباعه قبل غيرهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين.

لأن الاعتقاد في الإسلام لا يصح مع الإكراه بل لابد من القناعة الكاملة وهو الإيمان ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾.

ورسولنا ﷺ كان يخير غير المسلمين بين الدخول في الإسلام أو البقاء على دينهم، ولكن بعد أن يعقد معهم عهداً يطمئنون به على دينهم وأعراضهم وأموالهم، ويتمتعون بذمة الله ورسوله.

وبهدي رسول الله ﷺ اهتدت الأمة الإسلامية.

فقد كان المسلمون يعرضون الإسلام على غير المسلمين دون إكراه ولا إلزام وإنما شفقة عليهم ورحمة بهم، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعجوز نصرانية: «اسلمي أيتها العجوز تسلمي، إن الله بعث محمداً بالحق، قالت:

(١) أسباب النزول للواحدي (١١٤ ـ ١١٦).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٣١٠).

أنا عجوز كبيرة والموت إلي أقرب، فقال عمر: اللهم اشهد وتلا قول الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾».

والتسامح الديني هو سمة الأمة الإسلامية في التعامل مع أهل الكتاب وغيرهم مع الاجتهاد في دعوتهم والحوار معهم، وكان هذا أهم وأقوى سبب لدخولهم في الإسلام.

نقل غوستاف لوبون عن روبرتسن قوله: «إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وأنهم مع امتشاقهم الحسام نشراً لدينهم تركوا من لم يرغب فيه أحراراً في التمسك بتعاليمهم الدينية»(١).

وقال المستشرق الإنجليزي سير توماس أرنولد: «لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن طريق أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية»(٢).

والإسلام يدعو إلى استخدام العقل للاستدلال على الحق ويذم الذين لا يستخدمون عقولهم وجوارحهم في الاستدلال على الحق قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [سورة الأعراف: ١٧٩].

وهذه درجة سامية من الحرية أن يتحرر الإنسان ليس فقط من القوة المادية المباشرة بل ومن ضغوط العادات الموروثة فالحرية الدينية الكاملة في

(١) حضارة العرب ١٢٨ نقلاً عن كتاب «حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام» د. صالح العايد.

(٢) الدعوة إلى الإسلام ٩٨ ـ ٩٩، توماس أرنولد نقلاً عن كتاب «حقوق غير المسلمين»، وانظر مزيد من الشهادات في كتاب «الإسلام في عيون غربية» د. محمد عمارة.

اختيار المعتقد وممارسة الشعائر لا توجد بهذا السمو والكمال في غير الإسلام.

لا تلازم في التصور الإسلامي بين شرعية وجود الآخرين وبين اعتقادهم ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون آية ٦].

ومن سنن الله الكونية التي لا يمكن تغييرها اختلاف الناس في الدين قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٩٩﴾ [يونس: ٩٩].

فالسبيل الوحيد إلى إدخال أهل الكتاب الإسلام هو إقناعهم عن طريق المجادلة بالتي هي أحسن، فحتى المجادلة بتسفيه أو تعنيف ممنوعة وغير مشروعة ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

## المطلب الثالث:

## الجهاد وسيلة لضمان حرية المعتقد

الجهاد في الإسلام لم يشرع لإكراه الناس على معتقد وإنما لتأمين حرية المعتقد، فالمسلم لا يقاتل من أجل فرض عقيدته على الناس وهم كارهون، إنما يقاتل لإزالة القوى الجاهلية التي تمنع وصول الحق للناس دون حواجز، فإذا أزيلت الحواجز فلا إكراه في الدين.

فحرية المعتقد لا تتوافر مع وجود قوى سياسية تفرض على الناس معتقدات الزعماء والرؤوس وتمنعهم من التعرف على الحقيقة واختيار الحق.

فوجود مثل هذه القوى يصادر حرية المعتقد لدى الشعوب فكان لزاماً على أمة الإسلام تحمل أعباء الجهاد لمنح الشعوب المضطهدة حريتها وعلى رأسها حرية المعتقد.

## المبحث الثالث:

## نموذج من القرآن الكريم للجدل الديني مع أهل الكتاب

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٥، ٦٦].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو أنهم عملوا بما في التوراة والإنجيل ... وعملوا بما أنزل إليهم من ربهم من الفرقان الذي جاء به محمد ﷺ ... لأنزل عليهم من السماء قطرها، فأنبتت لهم الأرض حبها ونباتها، فأخرج ثمارها»[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد: ٢٨، ٢٩].

قال ابن جرير: «يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله من أهل الكتابين التوراة والإنجيل، خافوا الله بأداء طاعته واجتناب معاصيه، وآمنوا برسوله محمد ﷺ ... يعطيكم ضعفين من الأجر، لإيمانكم بعيسى ﷺ، والأنبياء قبل محمد ﷺ، ثم بإيمانكم بمحمد ﷺ حين بعث نبياً ... يفعل بكم ربكم هذا لكي يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله الذي آتاكم وخصكم به لأنهم كانوا يرون أن الله قد فضلهم على جميع الخلق، فأعلمهم الله جل ثناؤه أنه قد آتى أمة محمد ﷺ من الفضل

(١) جامع البيان (٦/٣٠٥، ٣٠٤١).

والكرامة ما لم يؤتهم»[1].

فهذا الأسلوب من أنجح الأساليب وأدعاها إلى قبول الحق والاغتباط به.

ففيه من الترغيب والإغراء ما يحفز أصحاب الهمم العالية، والنفوس التواقة إلى الكمالات، إلى استشراف الهدى بنفس مستبشرة طامعة بفضل الله ورحمته.

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء: ٧٥].

فمن أهم المقاصد الشرعية من مشروعية الجهاد هو رفع الاضطهاد الديني عن المستضعفين في دينهم ومنحهم حرية المعتقد فيكون لهم القدرة على اختيار الدين الذي يقتنعوا به فيدخلوا فيه من غير إكراه[2].



(١) جامع البيان (٢٧/٢٤١).

(٢) التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية د. عبدالمجيد ندا، ص٢٧٥، الناشر مكتبة النهضة المصرية.

# الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، **وبعد:**

فإن الجدل مع أهل الكتاب بالتي هي أحسن بقصد تبيين الحق هو فريضة على الأمة الإسلامية والأصل الأول الذي يجب أن يكون هو مضمون الجدل هو التوحيد ونبذ الشرك ويتفرع عنه الإيمان بالقرآن وبرسالة ﷺ والشرط الأساسي والأول في الجدل مع أهل الكتاب هو الابتعاد عن أي مظهر من مظاهر الإكراه.

ويوصي الباحث بما يلي:

**أولاً:** الاهتمام بإعداد الكفاءات القادرة على إدارة الجدل الديني مع أهل الكتاب بحيث تجمع هذه الكفاءات بين القدرة العلمية والقدرة على التأثير على الآخرين.

**ثانياً:** الأخذ بزمام المبادرة في التواصل الفكري مع أهل الكتاب.

**ثالثاً:** استغلال التقنيات الحديثة والآليات المعاصرة لتوسيع دائرة الجدل الديني مع أهل الكتاب.

**رابعاً:** الحذر من محاولات نقض بعض عرى الإسلام أو تحريف بعض مفاهيمه تحت شعار الحوار أو وحدة الأديان أو التعايش أو غير ذلك.

**وصلى الله وسلم على نبينا محمد.**

